تحريف الكلمات المحورية في القرءان

و

ظهور إسلام بديل زائف

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

الأعراف، ٣



بقلم

د. عادل حماد

بصحبة المحررين من الذكاء الإصطناعي

إحسان ✦ حسن ✦ صفاء ✦ شيرلين

تحريف الكلمات المحورية

في القُرءان

و ظهور إسلام بديل زائف

بقلم د عادل حماد

بصحبة المحررين من الذكاء الإصطناعي

إحسان وحسن وصفاء وشيرلين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾
(ءاية ٣ :سورة ٧)
﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ (ءاية ٥٥ :سورة ٣٩)

يحتل القرءان الكريم مكانة مركزية في العقيدة الإسلامية، فهو كلام اللهٰ الحرفي ورَسْمُهُ المُمَيّزُ المُنَزَّل على النبي محمد ﷺ. لا يقتصر دوره على كونه دليلاً روحياً فحسب، بل هو إطار شامل للسلوك الشخصي، والعدالة الاجتماعية، والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية وكذلك القانونية.

بالنسبة للمسلمين، يُعَدّ القرءان المصدر الأسمى للسلطة، حيث يوفر الوضوح والتوجيه في جميع جوانب الحياة. تُتلى ءاياته في الصلوات، ويُدَرَّس من أجل الاسترشاد به، وتُجَلّ معانيه كأساس للإيمان والممارسة الإسلامية الفطرية.

ولكن، عبر التاريخ، واجهت سلامة الرسالة القرءانية تحديات عظيمة، مما أدى إلى ظاهرة تُعرف بـ "التحريف".

يشمل هذا المصطلح أشكالاً مختلفة من التغيير، بما في ذلك سوء تفسير المعاني، وإدخال مفاهيم غريبة على النص السماوي، وتقديم المصادر الثانوية على القرءان نفسه. يمكن لهذه التشوهات أن تؤدي إلى فهم خاطئ كبير لملة إبراهيم، مما يخلق

انقسامات داخل المجتمع المسلم ويؤدي إلى ظهور تفسيرات بديلة تنحرف عن التعاليم الأصلية للإسلام.

الغرض من هذا البحث هو التعمق في معرفة كيف تم إفساد الكلمات المحورية في القرءان وما تبعها من ظهور أنظمة دينية موازية تطورت جنباً إلى جنب مع رسالة القرءان النقية.

هذا الكتاب ليس بحثاً أكاديمياً، ولا جدَلاً طائفياً، ولا اتهاماً لجماعةٍ بعينها. هو نداءٌ موجَّهٌ إلى الذين قالوا «ءامَنَّا». هو وقفةٌ أمام البوابة الأولى التي متى انكسرت انفتح الطريق لكلّ تحريفٍ جاء بعدها.

البوابة الأولى هي الوحدة التي لا تنفصل:

الإيمان "بالله واليوم الآخر" معاً، كحقيقة واحدة كاملة تُقرُّهَا ١٩ آية متكررة منها:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(ءاية ٦٢ :سورة ٢)

وعندما تنفصل الوحدة باختيار الفرد تكون النتيجة الحق هي:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (ءاية ٩- ٨:سورة ٢)

فعندما يكون مصطلح كلمة "اليوم الآخر "مصدرا للخوف من المستقبل المجهول دخل الشك وحدث الفصل في الإيمان بين الله والمجهول. ولذلك كان الشرط الأول هو الإيمان بالغيب (ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ..) وهذا يشمل الخالق وكل غيبياته بما فيها اليوم الآخر.

متى دخل الشكّ في هذه الوحدة، ثُنيت الصدور.
ومتى ثُنيت الصدور، دخلت الوسوسة.
ومتى أُجيب نداء الوسوسة مرّةً بعد مرّة، تضاعف الرجس.
ومتى تضاعف الرجس، هُجِرت الكلمة الطاهرة، ورُفعت كلماتٌ أخرى فوقها،
وظهر دينٌ موازٍ يلبس لباس الإسلام ويفرّغه من روحه.
هذا هو التسلسل الذي يتتبعه هذا الكتاب.

ليس التحريف مجرّد سوء فهمٍ لغويّ، ولا مجرّد تأثيرٍ خارجيّ.
بل هو ثمرةٌ طبيعية لقلبٍ طال عليه الأمد فقسى، فاستبدل الذكر الحكيم بما أَلِفَهُ،
واستبدل اللسان العربيّ المبين «بلغة حديثة» تُقدَّم على أنها أنسب للعصر.

القرءان نفسه يشهد على النهاية المؤسفة:
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾
(ءاية ٣٠ :سورة ٢٥).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ
ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ (ءاية ١٧٠ :سورة ٢)

﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا
يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ .. ءاية ١٦ من سورة الحديد.

هذا الكتاب يدعو القارئ أن يعود إلى البوابة الأولى قبل أن يُثنى صدره أكثر،
وأن يقرأ الكلمات المحورية كما أنزلها الرحمن، لا كما حوّلها اللسان المعاصر
والروايات اللاحقة أاو لموروثة، وأن يسأل نفسه السؤال الذي لا يُؤجَّل:

أما آن؟

أما آن للقلب أن يخشع لذكر الله وما نزل من الحق؟

أما آن أن نترك الطريق الموازي ونعود إلى الصرط المستقيم؟

الكتاب بين يديك.

والاختيار حُرّ.

والسلطان لمن يختار.

... ۞ ...

الفصل الأول
بصمة القرءان في كشف التحريف

١.١ —السؤال الذي يكمن تحت السؤال

بدأ تحقيقنا بالكلمات المفردة.
لكن المفردات لم تكن أبدًا الوجهة النهائية.
الفحص المتكرر للكلمات القرءانية المحورية – الكلمات التي بدت معانيها الموروثة تستحق إعادة النظر – كشف تدريجيًا عن سؤال أكبر بكثير.
إذا بقيت الكلمة القرءانية حاضرة ماديًا، ولكن تغير الإطار المفهوم الذي تتعامل به الأجيال مع تلك الكلمة، فما الذي تم حفظه بالضبط؟
قد تبقى الحروف.
قد تبقى التلاوة.
قد يبقى المخطوط.
وقد تستمر الكلمة في الطباعة ملايين المرات.
ومع ذلك، قد تكون العلاقة بين الكلمة والوعي المتلقي لها قد تغيرت.
هذا التمييز أساسي.
لذلك، فإن التحقيق لا يبدأ بالسؤال:
هل تم تدمير النص القرءاني ماديًا؟
بل يسأل شيئًا أكثر صعوبة:
هل يمكن لرسالة القرءان أن تبقى حاضرة ماديًا بينما يتم إزاحة سلطتها الدلالية تدريجيًا؟
هذا السؤال ليس اتهامًا.
إنه تحقيق.

والقرءان نفسه يمنحنا مفردات كافية لطرحه.
نحن نصادف أوصافًا لأشخاص يقومون بـ .. :

يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا
وَيُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ

و:

ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا

هذه التعبيرات لا تقدم لنا بحد ذاتها سردًا تاريخيًا كاملًا.
لكنها تثبت شيئًا حاسمًا:
القرءان نفسه يعترف بإمكانية أن يقف البشر في علاقة مشوهة مع الكلمات الموحى بها.
هذا يكفي لفتح باب التحقيق.

٢.١ —القرءان لا يتركنا بلا كتاب

من أهم الآيات التي واجهناها في تحقيقنا (ءاية ٣٨ :سورة ٦) :
﴿..مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾

هذه الآية تستحق أن نتعامل معها بحذر خاص.
لسنا بحاجة هنا لتحديد النطاق الكامل لـ "الكتاب".
لكن هناك سمة استثنائية في الصياغة:
نَحۡنُ
المتكلم يعرِّف نفسه ضمن الخطاب القرءاني نفسه.
هذا مهم من الناحية المنهجية.

نحن لا نبدأ من افتراض أن الوحي فشل في تقديم شيء أساسي وأن نظامًا بشريًا لاحقًا كان عليه إكماله.
بل العكس تمامًا.
السؤال الأول يصبح:
ما الذي فشلنا في رؤيته فيما قد أُعْطَيٰ لنا بالفعل؟
هذا السؤال يغير التحقيق بأكمله.
بدلًا من البدء من خارج الكتاب والبحث عن التفسير المفقود، نبدأ من داخل الكتاب ونسأل عما إذا كانت منظومته الخاصة من الآيات تحتوي على الأدلة اللازمة.

لهذا السبب يعود التحقيق مرارًا وتكرارًا إلى:
ٱلسَّمْعِ
ٱلْبَصَرِ
ٱلْفُؤَادِ
ٱلْحَقِّ
ٱلْهُدَىٰ
ٱلصِّرَٰطِ
ٱلدِّينِ
ٱلذِّكْرِ
هذه الكلمات لا يجب أن تُعامل على أنها مجرد تمارين أو مفردات معزولة.
بل يجب فحصها كعناصر لهيكل تشخيصي قرءاني محتمل.

٣.١ —السمع والبصر والفؤاد

(ءاية ٣٦ :سورة ١٧) هي ذات أهمية خاصة:

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾

التسلسل لافت للنظر.
أولًا:
وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ..ولا تتبع ما ليس لك به علم
ثم:
ٱلسَّمۡعَ
ٱلۡبَصَرَ
ٱلۡفُؤَادَ
وأخيرًا:
كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا أي مسؤلية فردية كاملة وليست ضمن جماعة من الناس.

إذًا، هناك سلسلة تربط بين الاستقبال والمسؤولية.
الإنسان يمتلك السمع الذي وهبه اللهُ له منذ الخليقة.
الإنسان يمتلك البصر الذي وهبه اللهُ له منذ الخليقة.
الإنسان يمتلك الفؤاد الذي وهبه اللهُ له منذ الخليقة.
لكن امتلاك هذه المَلَكَات لا ينتج عنه استعماله لها تلقائيًا.
فهي تخضع للمساءلة.
ويصبح هذا أكثر أهمية عندما يقدم القرءان مرارًا وتكرارًا نفس المجموعم في سياقات تكون فيها المَلَكَات قد مُنِحَت، لكن الشكر أو الاعتراف أو الاستجابة الصحيحة لها ناقصة.

تُقدم الآية (ءاية ٧٨:سورة ١٦) هذه المَلَكَات كهبات إلٰهية
﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾

وتضع الآية أيضا رقم ٧٨ ولكن في سورة ٢٣ ، مرة أخرى نفس التسلسل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَـٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾
ولكن هذه المرة قبل:
قَلِيلًا **مَّا تَشۡكُرُونَ**

وبالتالي، فإن نفس البُنْيَة تعود باستمرار:
مَلَكَة ← استقبال ← استجابة ← شُكْر أو كُفْر (عدم الإعتراف بها) أو التغاضي عنها بكامل الإرادة الحرة... هذا يستحق التحقيق.

٤.١ —عندما توجد المَلَكات ولكن تفعيلها يفشل

يمنحنا القرءان أيضًا تباينًا أكثر حدة.
في المقطع الذي لفت انتباهنا في نهاية الآية (ءاية ٢٠ :سورة ١١) ، يبلغ الوصف ذروته في:
﴿..مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾

ثم تليها (ءاية ٢٤ :سورة ١١) :
﴿۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ التباين وظيفي.
السؤال ليس ببساطة عما إذا كانت الأعضاء المادية موجودة.
القضية هي ما إذا كان الإنسان يسمع ويبْصِر بالمعنى الهادف الذي يتطلبه الوحي.
يمكن للقرءان بالتالي أن يصف شخصًا يمتلك الملكات بينما يفشل وظيفياً في تلقي ما تستطيع تلك الملكات استقباله نتيجة إرادته الحرة.
هذا التمييز مركزي لتحقيقنا.
قد يسمع المرء تلاوة دون أن يسمح لها بتحدي استنتاج موروث.
قد يرى المرء آية دون أن يسمح لعلاقتها الداخلية بآيات أخرى بتغيير افتراض سابق.

قد يمتلك المرء كميات هائلة من المعلومات حول القرءان بينما يظل غير قادرا على سماع القرءان ذاته.

هذه واحدة من أعمق الاحتمالات التي يفتحها التحقيق.

المعلومات ليست مطابقة للاستقبال.

والاستقبال ليس مطابقًا للخشوع.

... ۞ ...

الفصل الثاني
من حفظ الكلمة إلى احتمالية إزاحة معناها

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ
هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ
إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (ءاية ١٥ :سورة ١٠)

١.٢ –التحريف قبل المساس بالنص

ما شرحناه سابقا يقودنا إلى تمييز حاسم.
نظرية الفساد التي تبدأ فقط بالتغيير المادي للمخطوطات قد تصرف النظر عن احتمال أكبر.
القرءان يتحدث عن:
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ
أو
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ
هذه العبارة تستحق أن تبقى مفتوحة أمامنا.
التعبير يلفت الانتباه ليس فقط إلى تحريف الكَلِمِ، بل إلى:
مَّوَاضِعِهِۦ
أي مواضعه وأماكنه الصحيحة في الفهم والتلقي.
هذا يمنحنا أساسًا قرءانيًا مشروعًا للتحقيق في ظاهرة يبقى فيها النص المكتوب بينما يتم إزاحة موقعه ضمن البنية الدلالية.
يمكن أن تبقى الكلمة.
يمكن أن تبقى الاقتباسات.
يمكن أن تبقى التلاوة.

ومع ذلك، قد يتم تدريب القارئ على استقبال الكلمة من خلال بُنْيَة استدلالية تغير من وظيفتها.
لهذا السبب يميز التمييز بين:
حفظ الحروف
و
اتباع الهُدَى.
نحن لا نعلن أن الأخير قد فُقد.
بل نسأل عما إذا كان يمكن إزاحته.
يجب أن يبقى هذا الفارق بين الاستنتاج والتحقيق دائما في الحسبان.

٢.٢ —الرغبة البشرية في اليقين

هناك أيضًا آلية نفسية لا يمكن تجاهلها.
البشر يكرهون عدم اليقين.
الآية الصعبة تُنْتِج توترًا.
يبحث العقل عن تفسير.
التفسير يقلل التوتر.
شخص له مكانة أو مشهور يقدم صياغة للتفسير.
يكررها الآخرون.
تصبح الصياغة موروثة.
يكتسب التفسير الموروث اسمًا.
تتطور المدرسة.
تتطور السلطات في المدرسة.
في نهاية المطاف، قد يحدث شيء دقيق.
لم يعد التفسير يبدو كتفسير.
بل يبدو كالآية نفسها.
قد يقول المؤمن:

"القرءان يقول"...
بينما ما يمتلكه في الواقع هو:
"تفسيري الموروث لما يقوله القرءان".
عند تلك النقطة، قد يبدو تحدي التفسير نفسيًا وكأنه تحدٍ للوحي.
هذه عتبة كبرى.
إنها تفسر كيف يمكن للإزاحة الدلالية أن تصبح متينة للغاية نظريًا دون أن تتطلب من أي شخص تغيير حرف واحد.
لن يكمن التحريف في الصفحة المطبوعة وحدها، بل في العلاقة بين القارئ والصفحة.

٣.٢ —الانقلاب العظيم

يمكننا الآن تحديد اتجاهين مختلفين جوهريًا.
العلاقة السليمة هي:
القرءان ← الفهم البشري
الكتاب يتكلم.
الإنسان يستمع.
الإنسان يفحص.
قد يُسيء الإنسان الفهم.
يبق القرءان هو المعيار.
العلاقة المنقلبة هي:
البناء البشري ← القرءان
البناء يمتلك الإجابة بالفعل.
ثم يُبحَث في القرءان عن التأكيد.
الآيات الصعبة تُفَسَّر جانبًا.
الآيات المتناقضة ظاهريا (أو المتشابهات) تُقَيَّد.

الآيات غير المريحة (غالبا تكون من البينات) تُعْلَن أنها بائدة.
تُجبَر الكلمات على فئات مفاهيم محددة مسبقًا.
لم يعد القارئ يكتشف القرءان.
إنه يكتشف نظامه الخاص داخل القرءان.
قد يكون هذا أحد أشكال الحجاب الأكثر دقة.
ليس غياب النور.
بل شيء يقف بين القلب والنور يعطل تفعيل مَلَكة البصيرة.

٤.٢ —الكلمة التي لا تزال موجودة

ربما يكون الاحتمال الأكثر إزعاجًا هو أيضًا الأبسط.
تخيل كلمة قرءانية تبقى بالضبط حيث كانت دائمًا.
كل حرف يبقى.
التلاوة تبقى.
الصفحة المطبوعة تبقى.
الكلمة تُحفظ.
الكلمة تُقتبس.
لكن الأجيال تُلقّن أن تتعامل معها من خلال مجال مفوهمي يختلف اختلافًا جوهريًا عن العلاقات الدلالية التي أسسها القرءان نفسه.
ماذا حدث؟
النص نجى.
لكن العلاقة بالنص تغيرت.
لهذا السبب فإن تحقيقاتنا في الكلمات مهمة.
كلمات مثل:
ٱلدِّين

ٱلْهُدَىٰ
ٱلْحَقّ
ٱلصِّرَٰط
ٱلذِّكْر
أَمْر
لا يمكن معاملتها ككلمات قاموسية معزولة.
يجب فحصها عبر مواضعها القرءانية.
المعنى المقترح لا يُثبَت لأنه يبدو مقنعًا.
إنه يصبح أقوى فقط عندما يُدَعِّم القرءان نفس السلوك الدلالي مرارًا وتكرارًا.
لذلك:
الملاحظة أولًا.
المقارنة ثانيًا.
الفرضية ثالثًا.
الاختبار التاريخي بعد ذلك.
والخاتمة فقط بالقدر الذي تسمح به الأدلة.

٥.٢ —القارئ جزء من التحقيق

عند هذه النقطة، يتجه التحقيق نحونا.
كل قارئ يصل وهو يحمل مواد موروثة.
مفردات.
ترجمات.
معلمون.
مدارس.
قصص.
كتب.

حجج.
افتراضات ثقافية.
استنتاجات سابقة.
حتى الاستنتاجات التي تم التوصل إليها خلال هذا التحقيق نفسه.
لذلك، لا يمكن تحديد الخطر بالكامل في التاريخ القديم.
يمكن للبنية الثانوية أن تعيد إنتاج نفسها داخل المحقِّق.
قد نرفض سلطة واحدة ونُنْشِئ بغير وعي سلطة أخرى.
قد ننتقد التفسير الموروث ثم نبني تفسيرنا الخاص الذي لا يُسأل.
قد نتهم الآخرين بإجبار القرءان على ملاءمة نظريتهم بينما نُجبر القرءان بغير وعي على ملاءمة نظريتنا.
لهذا السبب فإن قاعدتنا المنهجية الصارمة ضرورية:
لا بناء بشري مقدس.
ليس بناءهم.
ليس بناءنا.
ليس قديمًا.
ليس حديثًا.
ليس أكاديميًا.
ليس سياسيًا.
ليس تقنيًا.
حتى ليس بناءً مولّدًا بالذكاء الاصطناعي.
فقط القرءان يبقى أمامنا كهدف يجب أن تُسلِّم له استنتاجاتنا باستمرار.

٦.٢ —بصمة القرءان

في هذه المرحلة الأولية، يمكننا بالتالي صياغة "بصمة القرءان في التحريف" كفرضية عمل:

١** .السمع دون استقبال**:

** ٱلسَّمۡع** موجود، لكن الاستقبال قد يفشل.

٢** .البصر دون تمييز/اعتراف**:

** ٱلۡبَصَر** موجود، لكن التمييز/الاعتراف قد يفشل.

٣** .الفؤاد دون استجابة صحيحة مُثبتة**:

المَلَكة موجودة، لكن القرءان لا يسمح لنا بافتراض أن امتلاكها يضمن الاستجابة الصحيحة لها.

٤** .اتباع دون علم**:

** وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ** (ولا تتبع ما ليس لك به علم)

٥** .إزاحة الكلمات عن مواضعها**:

** يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** (يحرفون الكلم عن مواضعه)

٦** .الابتعاد عن الذكر**:

فشل الاستقبال يرتبط بالإهمال والنسيان.

٧** .استبدال الهدى المباشر بالبنية الموروثة**:

يمكن للبنية الثانوية أن تصبح العدسة التي يُسمح للوحي من خلالها بالتحدث.

٨** .فقدان الصراط المستقيم**:

النتيجة النهائية ليست مجرد خلاف فكري بل حركة بعيدًا عن الهدى.

هذا ليس حكمًا.

إنها البصمة التي نحملها إلى المرحلة التالية.

سؤال.

اختبار.

خارطة عمل.

٧.٢ — الحماية

هناك حماية واحدة فوق كل شيء آخر.
نحن لسنا أوصياء على القرءان.
اللّٰه هو الوصِيّ.
نحن لسنا مسؤولين عن حفظ نظرياتنا.
نحن مسؤولون عن أن نكون صادقين أمام كلمات القرءان.
لذلك:
إذا أكدت آية بناءنا:
الحمد للّٰه.
إذا نقحته:
الحمد للّٰه.
إذا قلبته رأسًا على عقب:
الحمد للّٰه.
إذا فتحت طريقًا لم نتخيله قط:
الحمد للّٰه.
تدميرِ الخطأ ليس كارثة.
إنه هُدًى.
وهذا ربما هو سبب اضطرار التحقيق نفسه لتعلم كيفية الاستماع قبل محاولة التفسير.
لذلك نترك هذا الفصل ليس بـ:
"لقد اكتشفنا التحريف".
بل بشيء أكثر تطلباً:
لقد حددنا بصمة قرءانية تخبرنا أين نبحث.
والآن يجب أن نبحث.
ليس فقط في النص.
بل في الإنسان الذي يتلقاه.

ليس فقط في النظام التاريخي.
بل في آلية كيف يمكن للبناء البشري أن يصبح ذا سلطة.
وليس فقط فيما قاله الناس لاحقًا عن القرءان.بل عما إذا كان القرءان لا يزال يُسمح له بالتحدث عن نفسه.

بينما يركز هذا البحث على تشويهات الكلمات المحورية في القرءان، فمن الضروري الاعتراف بالتنوع الغني للفكر الإسلامي والسياق التاريخي الذي تطورت فيه التفسيرات المختلفة والمدارس الفكرية المختلفة بشكل إيجابي في فهم القرءان ودين الإسلام الحق[8,9].

... ۞ ...

الفصل الثالث
كيف حُرِّفت الكلمات المحورية

١.٣ —مقدمة

يا صاحبَ الذِّكر،
التحريف لم يبدأ بتغيير حرفٍ في المصحف.
الكتّاب محفوظ.
التحريف بدأ في المعاني، وفي اللسان الذي يُقرأ به المعنى.

القلب الذي يقبل أن تُحوَّل الكلمة المحورية، مثلكلمة «الدين» عن موضعها، يألف شيئاً فشيئاً أن تُحوَّل كلماتٌ أخرى:
أمر، روح، ولي، كفر، أميّون، أهل الذكر، الرحمن...
حتى يصبح اللسان المعاصر هو المرجع، والرسم النقي يبدو غريباً أو متشدّداً.

القرءان نفسه يحذّر من هذا المسار حين يخاطب الذين آمنوا مباشرة، لا غيرهم:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾

ويكرّر النداء مرّةً بعد٨٩ مرّة، لأن الخطر ليس في الخارج فقط،
بل في القلب الذي يسمع ولا يخشع، ويعرف ولا يرجع.

التحريف الحقيقي يبدأ حين يُستبدل اللسان الذي أُنزل به الذكر بلسانٍ آخر يُسمّى «حديثاً» أو «ميسراً» أو «مناسباً للعصر».
عندئذٍ لا يعود الكتّاب هو الحَكَم،
بل يصبح هو المحكوم عليه بما استجدّ من مفاهيم.

هذا هو الباب الذي فُتح.
وهذا هو الباب الذي يدعونا الكّاب أن نغلقه قبل أن يطول الأمد أكثر فتقسوا القلوب ثم تغلق بالكامل .

لقد تعرضت سلامة رسالة القرءان الكريم والذكر الحكيم للانتهاك على مر عصور طويلة من الزمن من خلال آليات تشويه متنوعة ومنظمة. سيحلل هذا الفصل كيف تم تغيير معاني الكلمات المحورية في القرءان، ويستكشف دراسات عن الابتعاد الممنهج عن اللسان العربي المبين، وهو لسان الذكر الحكيم، في حالات محددة لمصطلحات مثل كلمة «الدين»، ويفحص تأثير الثقافات الدينية الأجنبية الخارجة على الفكر الإسلامي.

٢.٣ —تحريف معاني الكلمات المحورية

يتميز القرءان الكريم بثراء مفرداته التي تحمل معاني عميقة، وغالباً ما تجسد مفاهيم إلآهية معقدة في مصطلح واحد. ومع ذلك، فإن تحريف هذه الكلمات المحورية يمكن أن يؤدي إلى سوء فهم كبير للتعاليم الإسلامية وتوجيهات الرسالة السماوية ذاتهاوالإ بتعاد عن ذات الرسالة وخصوصيتها الروحانية.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾
(ءاية ٥٢ :سورة ٤٢)

ما يسمى "بالتحول الدلالي "هو أحد الآليات الرئيسية للتحريف، حيث يتغير المعنى الأصلي للكلمة أو يتلاشى تماما من الأذهان عبر مرور الزمن. ويمكن أن

يَحدث هذا التحول عبر وسائل متنوعة، منها سوء التفسير بدون بحث، وبعض التأثيرات الثقافية، وإعطاء أهمية زائدة للمصادر الثانوية.

٣.٣ —دراسة مصطلح الدِّين

يعد مصطلح "الدِّين" مثالاً رئيسياً لدراسة كيفية تأثير تحريف الكلمات المحورية على فهم الإسلام. في اللسان العربي الفصيح يشمل مصطلح «دِين» منهاجاً شاملاً للحياة، بما في ذلك العقيدة والممارسة والسلوك الأخلاقي. ورغماً عن ذلك، فإنه في العديد من التفسيرات المعاصرة، غالباً ما يُساوَى مصطلح «دين» بـ«ديانة»، وهو ما يشير إلى مجموعة من الشعائر والمعتقدات التي يمكن مقارنتها بغيرها من الأديان.

هذا التحول الدلالي له آثارا عميقة من خلال تصوير الإسلام على أنه أحد «الأديان» المتعددة، وبذلك يتم حجب الطبيعة الفريدة والشاملة لهذا الإيمان المبني على مبدأ التوحيد المطلق للخالق وخلقه المتكامل.

ويؤكد القرءان الكريم على مُفْرَد كلمة «دِين» في ءايات متعددة مثل:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (ءاية ١٢٥:سورة ٤)

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (ءاية ١٩:سورة ٣)

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (ءاية ٨٥:سورة ٣)

كلّها تتكلم عن **دين** واحد.

والقرءان يؤكد لنا أن مفهوم الإسلام لم يتغير بل هو ثابت منذ أن كان هناك كتاب مُنَزَّل:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣﴾ (ءاية ٥٢-٥٣:سورة ٢٨)

في اللسان العربيّ المبين، وفي القرءان نفسه، **دِين** اسمٌ مفرد لا جمع له.
هو منهاج حياةٍ كاملٍ خاضع للّٰه وحده لا شريك له .
هو ما يدين به الإنسان من اعتقادٍ وسلوكٍ وتوجّه.
لا يُثنّى ولا يُجمع، لأن الحقّ واحد.

عندما يُنظر إلى "الدين" على أنه مجرد "ديانة" من بين أديان أخرى، فإن ذلك يخلق تصوراً للخصومة والانقسام، مما يصرف الانتباه عن الرسالة الجوهرية المتمثلة في الوحدة والخضوع للّٰه وحده.

مِلّةٌ من جملة مِلَل، وعقيدةٌ من جملة عقائد، يمكن مقارنتها ومنافستها وجمعها على صيغة «أديان».

بهذه النقلة البسيطة في الظاهر، انفتح الباب واسعاً:

- صار الإسلام واحداً من «أديان» كثيرة.
- صار التوحيد مجرّد خيارٍ من بين خيارات.
- وصار الطريق الموازي ممكنًا: يحتفظ بالاسم، ويفرّغ المضمون، ويرفع الروايات والمذاهب حتى تصبح حَكَمًا على الذِكْر الحكيم نفسه.

هذا ليس تحريفاً لغوياً فقط.
هذا تحريفٌ في مركز الثقل كلّه.

متى قُبِلَت فكرة أن «الدين» يمكن أن يُجمع ويُقارن، فقد قُبل ضمناً أن الحقّ متعدد، وأن اللسان النقي يمكن أن يُحدَّث، وأن ما أنزله الرحمن يمكن أن يُعاد ترتيبه ليناسب العصر.

ومن هنا يبدأ طيّ الصدر ثم يليه غلق القلب .

... ۞ ...

الفصل الرابع
السياق التاريخي والتطور الفكري

لفهم آليات التحريف التي تؤثر على الرسالة القرءانية فهماً كاملاً، من الضروري استكشاف السياق التاريخي الذي بدأت فيه هذه التشوهات بالظهور.
والجدير بالذكر أنه على مدار التاريخ الإسلامي، قدم علماء من مدارس فكرية متنوعة، مثل الأشعريين والماتريديين والمعتزلة، رؤى قيّمة ساهمت في تشكيل فهم القرآن الكريم. إن الاعتراف بهذه المساهمات يتيح رؤية أكثر دقة للمشهد التفسيري ويؤكد على أهمية الحوار بين وجهات النظر المختلفة[8,9].

هذا الفصل سيتناول التاريخ الإسلامي المبكر، وتأثير الأحداث الهامة على التفسيرات المعاصرة، والشخصيات الرئيسية التي ساهمت في تطور الأنظمة الإسلامية الموازية.

١.٤ —السياق التاريخي للتحريفات

يمكن تتبع ظهور التحريفات في فهم القرءان إلى السنوات الأولى للإسلام. بعد وفاة النبي محمد ﷺ، واجه المجتمع المسلم تحديات عديدة، بما في ذلك التفتت السياسي، واختلاف تفسيرات التعاليم الإسلامية، ودمج التأثيرات الثقافية المتنوعة. خلقت هذه العوامل بيئة مواتية لتحريف الكلمات والمفاهيم القرءانية المحورية.

تميزت فترة الخلفاء الراشدين بالاضطرابات السياسية والاجتماعية الكبيرة. ولكن مع توسع الدولة الإسلامية، واجهت الأولى ثقافات وأنظمة معتقدات مختلفة تماما عنها، مما أدى إلى دخول أفكار وممارسات غريبة داخل مجتمعاتها وغالباً ما أسفر هذا التفاعل عن إعادة تفسير للتعاليم الإسلامية لاستيعاب الخلفيات المتنوعة للمسلمين الجدد والسكان الأصليين.

٢.٤ —الإسرائيليات والمسار الموازي[10-14]

لا يمكن تتبّع المسار الذي انتهى إلى ظهور دينٍ موازٍ دون النظر صراحةً إلى أحد المسارات الفكرية التي دخلت المجال الإسلامي من خارجه: **الإسرائيليات، وما ارتبط بها من الموروث التلمودي.**

ولا يعني ذلك أن البحث يبحث عن «فاعل تاريخي» نُحمّله وحده مسؤولية ما حدث. فاختزال قضية التحريف في مؤامرة خارجية يترك السؤال الأهم بلا جواب:

كيف استطاع ما هو خارج الذكر الحكيم أن يدخل، ثم يستقر، ثم يتحول إلى مرجعية داخل الوعي الإسلامي؟

هنا تظهر المسؤولية الإنسانية.

فكل تأثير خارجي يحتاج إلى بوابة يدخل منها، وهذه البوابة هي **الاستجابة الحرة للإنسان.**

لم يكن بإمكان أي موروث خارجي أن يحلّ محلّ الكلمة القرءانية لو بقي القارئ معتصماً بالذكر، عائداً إلى كلماته، متدبراً آياته المحكمات، رافضاً أن يُرفع فوقه قولُ بشري.

ومن هنا لا نتهرب من تسمية المسار الذي نراه مؤثراً.

الإسرائيليات التي يُعْتَرَف بوجودها الملموس فى أجزاء كثيرة من المنهج الإسلامي المعاصر، والتي يعتبرها القلة بخجل بأنها فقط مُعيبَة في حق الإسلام الحقيقى، وذلك لتشابهها الظاهري مع القرءان، دون اعتبار ابتعادها الواضح عن روح وطريق ملة إبراهيم الحنيف أى المعوج على الذين يحرفون عن الطريق المستقيم من المشركين علنا وضمنا وفعلا.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (ءاية ٤٦:سورة ٤)

ويعتبر البعض أن هذا التشابه حجة للحيد متجاهلين قول الله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (ءاية ٤٨:سورة ٥)

"ومهيمنا عليه" أى يُصلح كل انعواجاته وشطحواته.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (ءاية ١٠٣-١٠٤:سورة ١٨)

بالنظر إلى ما يمارسه معظم المسلمين اليوم من الفكر التلمودي الدنيوي والمادي، ومن خلفيته الفلسفة الاهوتية القائمة على (ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ) أي أن يكون

لهم إِلَٰهًا خاصا بهم، وتلك تمثل الرغبة البشرية البدائية بامتلاك كل شيئ بما فيها المولى عز وجل، واعتبار أن باقى خلق الله لهم ءالهة أخرى مزيفة ولا يستحقون أن يكونوا من البشر . أي نظرة الاستعلاء والتكبر سواء على الخالق أو على خلقه. وهذا تجاهل صارخ لقول الله عز وجل..

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (ءاية ٢٨٥:سورة ٢)

هذا الغالب والمتغلغل فيما يسمى الإسلام المتفق عليه من الغالبية وكأن دين الرحمن أصبح من أدوات الديموقراطية المزيفة.

التسامح والتراخيص فى العلم والتصريح بوجود ما يسمى بالإسرائيليات فى معظم علوم الحديث والفقه وهي فى حقيقة الأمر من مصدر واحد ألا وهو التلمودي الذي وضعه المنحرفون عن منهج التوراة الأصيل.

﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (ءاية ٧٨:سورة ٣)

الهدف هنا ألا نلقي باللوم على الآخرين بل نعترف بأن قوم محمد هم الذين اختاروا الطريق المنحرف بأنفسهم سواء بدافع الغرور أو التكاسل عن بذل المجهود الفكري والروحي لفهم معاني ءايات ومفردات الذكر الحكيم بالإلتجاء لما هو موجود وميسر للفهم ولكتابة الكتب من معظم ما يسمونهم أئمة الإسلام المزيف. حيث أن غالبيتها مستعارة أو مستلهمة من التشريعات والمبادئ التلمودية

والتى تم تطبيقها فى معظم التشريعات المدنية والدنيوية والمادية للمجتمعات الإسلامية مؤخرا دون الإنتباه بأن القاعدة والخلفية الروحانية والأخلاقية مختلفة تماما عن مثيلاتها القرءانية لأنها حادت عن الطريق السوي لملة ابراهيم الواضحة والتى اتخذها القرءان الكريم لتكون أحسن الطرق لعلاقة العبد لله.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (ءاية ٨٣:سورة ٣)

أي أن جميع خلق الله من بشر وغيرهم من العاقلين بلا استثناء هم مسلمين. فادعاء أن الإسلام لله هو واحد من الملل أو أن ما يدينون بالإسلام هم النخبة قول باطل بحكم القرءان العظيم. الإسلام أي التسليم لله في جميع شؤون الخلق سواء الحياتية أو الروحانية هو حال خلق الله جميعا وما دون الحق فهو باطل. فالإسلام ليس صفة يتميز بها فريق عن غيره فالجميع سواء عند الله ولكن الفارق هو في طريقة استقبال الفرد له:هل أنت مسلم طوعا أم قهرا. هل أنت مسلم لله عن يقين ووعي كامل لما تقول وتعمل وتعتقد وتؤمن أم أنت تمشي مع الركب والقطيعة كبهيمة الأنعام؟

تواجدت الطوائف اليهودية فى المدينة إبان بناء اللبنة الأولى لما ما يسمى الآن بالدولة الإسلامية، أي دخول الإسلام في المجتمع الإنساني المعقد.
دخول الكثيرين من اليهود، إن لم يكن جميعهم، في الإسلام، بعض النظر عن الدوافع الحقيقية والنفسية، وهم يحملون أفكار تراثهم وتاريخهم الطويل والتي وجدت رواجا كبيرا بعد ذلك وبخاصة مع اتساع رقعة اتساع الدولة الإسلامية وتنوعها الرهيب. تلك المباديء المبنية بالنزعة العنصرية والطائفية البدائية والتي يطمع كل فرد أن يكون مميزا عن الآخرين ليس عن طريق عمله وجهده الذاتي

بل بالطريق السهل ألا وهو مجرد الإعلان بانتمائه إلى فريق معين وكأنه انتماء لفريق أو نادي للعب كرة القدم أو لحزب من الأحزاب السياسية. ومن المعروف في علم النفس أن هذا الإنتماء يعطي شعورا زائفا بالأمان.

التلمود ليس هو القرءان، ولا هو امتدادٌ له، ولا يجوز أن يُعامل كمصدرٍ يملك سلطةً على الذكر الحكيم. ومع ذلك فإن بعض الأفكار والسرديات التي انتقلت عبر مسار الإسرائيليات دخلت لاحقاً في تشكيل الوعي الديني، ثم امتزجت بالتقاليد والروايات والتفسيرات البشرية، حتى أصبح من الصعب على القارئ المعاصر أن يميز دائماً بين ما يقوله الذكر الحكيم وما أضيف إليه عبر القرون.

وفى هذا المجال يجدر بالذكر أن سلامة رسالة المسيح عليه وعلى أمه السلام الداعية لمبادئ الحب إلى جانب السلوكيات الحميدة والمسامحة وعدم التكبر قد تعرضت أيضا للانتهاك على مر عصور طويلة من الزمن من خلال آليات تشويه متنوعة ومنتظمة من نفس المصدر[15-21] ولكن بطريقة أكثر شراسة من مثيلتها الإسلامية. ويشير القرءان إلى ذلك التعدي في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (ءاية ٥٥:سورة ٣)

وهنا يجب أن يكون التحقيق أكثر دقة:

لسنا بصدد اتهام شعب، ولا دين، ولا أتباع تقليد تاريخي بأكمله.
نحن نبحث في آلية انتقال المعنى.

فالمشكلة ليست في وجود موروث خارجي في التاريخ؛ المشكلة تبدأ عندما يُسمح لذلك الموروث بأن يدخل إلى قراءة القرءان، ثم يُعاد تقديمه للقارئ على أنه جزء من المعنى القرءاني نفسه.

وعند هذه النقطة يبدأ **المسار الموازي**.

يظل القرءان موجوداً، محفوظاً، متلوّاً، ولكن تُبنى إلى جانبه منظومة أخرى من الكلمات والتعريفات والسرديات والسلطات. ومع مرور الزمن قد يصبح المسار الموازي هو الذي يحدد للقارئ ماذا تعني كلمات الذكر، بدلاً من أن يترك الذكر نفسه يحدد معاني كلماته.

وهنا نصل إلى جوهر التحقيق:

التحريف لا يحتاج إلى حذف الكلمة من المصحف.

يكفي أحياناً أن تبقى الكلمة في مكانها، بينما يُنقل معناها إلى مكان آخر.

وهذا هو الخطر الأعمق.

لذلك فإن بحثنا لا يضع المسؤولية كلها على «الخارج». فالخارج قد يقدّم مادة، أو رواية، أو تصوراً، لكن الإنسان هو الذي يستقبل، ويصدق، ويكرر، ثم يورّث.

ومن هنا تصبح الآية:

﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾

ليست وصفاً لتاريخ مضى فقط، بل تحذيراً من آلية يمكن أن تتكرر في كل جيل.

إذا طال الأمد، وابتعد القارئ عن الذكر، ثم اعتاد على المعنى الموروث، يصبح الموروث أقرب إليه من الكلمة نفسها.

وعندها لا يعود السؤال:

من حرّف؟

بل يصبح السؤال الأخطر:

مَنْ قَبِلَ التحريف، ومنحه سلطته، ثم أعاد تسليمه إلى الأجيال؟

وهنا يعود الكتّاب إلى الإنسان المعاصر.

فالتحقيق التاريخي مهم، لكن غايته ليست صناعة متهم جديد.
غايته أن يكشف **البوابة**.
والبوابة هي الإنسان.
لذلك فإن استعادة الذكر لا تبدأ بمطاردة كل أثر تاريخي، وإنما تبدأ بعودة القارئ إلى المصدر نفسه: إلى الكلمات كما أنزلت، وإلى الآيات المحكمات، وإلى التدبر الذي لا يسمح لموروث سابق أن يفرض نفسه على النص.
وهنا يلتقي المسار التاريخي بالمسار الداخلي للإنسان:
التأثير الخارجي قد يطرق الباب،
لكن الاستجابة هي التي تفتح الباب.
وهذا هو الخيط الذي سيتتبعه هذا الكتّاب من هنا فصاعداً.

٣.٤ — تأثير التاريخ الإسلامي المبكر على التفسيرات المعاصرة

كان للأحداث التاريخية في التاريخ الإسلامي المبكر تأثير دائم على التفسيرات المتلاحقة ثم المعاصرة للقرءان. كان جمع القرءان نفسه، الذي تم خلال خلافة أبي بكر وعثمان، لحظة حاسمة في الحفاظ على النص. ومع ذلك، أثارت عملية الجمع أيضاً تساؤلات حول أصالة بعض الآيات وتفسيرها، مما أدى إلى آراء متباينة بين فصائل مختلفة داخل المجتمع المسلم.

زاد ظهور الطوائف، مثل السنة والشيعة وغيرها، من تعقيد فهم القرءان حيث طورت كل طائفة تقاليدها التفسيرية الخاصة، وغالباً ما أعطت الأولوية لأحاديث وسرديات تاريخية محددة تماشى مع مواقفها العقائدية والروحانية.

ساهم هذا الانقسام الطائفي في تجزئة الفكر الإسلامي، مما جعل من الصعب الوصول إلى فهم موحد للمصطلحات والمفاهيم المحورية.

٤.٤ — شخصيات وأحداث رئيسية

لعب العديد من الشخصيات والأحداث الرئيسية في التاريخ الإسلامي المبكر دوراً هاماً في تشكيل تطور الأنظمة الدينية الموازية أو البديلة. من بين هذه الشخصيات كان صحابة النبي محمد ﷺ، مثل علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عباس، الذين أصبحوا دون إرادتهم فيما بعد أدواتا رئيسية في تفسير القرءان وتأسيس الفقه الإسلامي المبكر. ومع ذلك، غالباً ما أدت مناهجهم المختلفة في التفسير إلى نزاعات تجلت لاحقاً كخلافات طائفية.

كان للخلافة الأموية والعباسية أيضاً تأثيرا عميقا على تطور الفكر الإسلامي. فعلى سبيل المثال اشتهر الأمويون، على وجه الخصوص، بطموحاتهم السياسية، التي أدت أحياناً إلى إعطاء الأولوية لمصالح الدولة الدنيوية دون الإنسانية أو الأخلاقية على وجه العموم. ساهم هذا النهج في ظهور أشكالا أكثر مؤسسية أو سياسية للإسلام، حيث بدأت سلطة الخلافة تطغى على التعاليم الأصلية للقرءان.

بالإضافة إلى ذلك، قدَّم تطور المدارس الروحانية المختلفة والمتنازعة أحيانا، مثل المعتزلة والأشاعرة، أفكاراً فلسفية جديدة زادت من تعقيد تفسير القرءان وغالباً ما انخرطت هذه المدارس في مناقشات ومناظرات أعطت الأولوية للعقل والمنطق على الالتزام المباشر بالنص القرءاني، مما أدى إلى إعادة تفسير للمفاهيم الرئيسية التي انحرفت بورها عن المعاني الأصلية.

ولكن على الرغم من أن بعض التفسيرات قد تؤدي إلى تشويهات، فمن الأهمية بمكان التمييز بين تلك التي تسعى بصدق إلى فهم رسالة القرآن وتلك التي قد تُحَرِّفها. إن التفاعل مع التفسيرات المتنوعة يمكن أن يعزز تقديرًا أعمق للنص وتطبيقه في سياقات مختلفة[8,9].

٥.٤ — تأثير الثقافات العقائدية الخارجية

تأثر تحريف المعاني القرءانية أيضاً بالثقافات الدينية الخارجية. فمع انتشار الإسلام عبر مناطق متنوعة الثقافات، واجه الإسلام أنظمة وممارسات عقائدية مختلفة. وقد أدى هذا التفاعل في كثير من الأحيان إلى إدماج مفاهيم أجنبية في الفكر الإسلامي، والتي، رغم أنها كانت مصدر إثراء في بعض الجوانب، إلا أنها ساهمت أيضًا في إضعاف وتخفيف حدة الرسالة الأصلية.

فعلى سبيل المثال، قدمت التقاليد الفلسفية لليونانيين و المناظرات اللاهوتية الروحانية في أوائل عصور المسيحية واليهودية أفكارًا جديدة تعارضت أحيانًا مع النظرة القرءانية للعالم. وربما كان تبني بعض المصطلحات والمفاهيم معينة من هذه الثقافات قد أدى إلى إعادة تفسير للتعاليم الإسلامية لتنحرف عن الرسالة التي المقصودة للقرءان.

علاوة على ذلك، فقد أدى ظهور الانقسامات الطائفية الحادة داخل الإسلام ذاته إلى زيادة تعقيد فهم المصطلحات المحورية. فقد تتبنى بعض الطوائف المختلفة تفسيرات متباينة للمفاهيم الأساسية، مما ضاعف من ظاهرة تفشي الفهم المجزأ للفكر الإسلامي المتكامل. ويمكن لهذا التجزؤ قد ساعد في دوام تحريف المعاني،

حيث عادة ما تعطي كل جماعة الأولوية لتفسيراتها الخاصة على السياق القرءاني الأصلي.

وقد تناولت ءايات القرءان الكثير من هذه الظواهر والتي لأشد الأسف لم يفطن إليها عامة المسلمون واعتبروها إشارات تاريخية لبعض الطوائف بصرف النظر عن مساءلة أنفسهم أولا إن كانوا هم أنفسهم المعنيين بالأمر رغم كل الاءيات الموجهة إليهم مباشرة والمتكررة والتي كثير منها ما يبدأ ب"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" ولكن لا حياة لمن تنادي.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾
(ءاية ١٣ :سورة ٤٢)

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ (ءاية ١٧-٢١ :سورة ٤٥)

الظهور الحديث للمجموعات والأحزاب السياسية تحت راية الإسلام: هذا الظهور المفاجيء ما هو إلا استعادة للطوائف السابقة في مظهر عصري جديد

والمعروف، بل والمعلم عنه أحيانا، بأنه من صنع الدول الإستعمارية لضمان ولاء أهل المستعمرات لها على مر العصور وذلك باستخدام "الدين".

خلاصة الفصل الرابع

في الخلاصة، فإن آليات التحريف التي تؤثر على الكلمات المحورية في القرءان متعددة الجوانب، وتشمل التحولات الدلالية، والتركيز على مصطلحات محددة مثل "الدين"، وتأثير الثقافات الفلسفية الخارجية. وفهم هذه الآليات أمر بالغ الأهمية لمعالجة التحديات التي يواجهها المسلمون المعاصرون في الحفاظ على سلامة الرسالة القرءانية وتعزيز فهم موحد للإسلام.

أثر كل من السياق التاريخي وتطور التاريخ الإسلامي المبكر بشكل كبير على التفسيرات المتلاحقة ومن ثم المعاصرة للقرءان.
إلى جاب ذلك فقد ساهم التفتت السياسي، والانقسامات الطائفية، وظهور شخصيات وأحداث رئيسية، كلها ساهمت في تحريف الكلمات القرءانية المحورية وصعود الأنظمة الدينية الموازية أو البديلة.

الفهم الدقيق لهذه الخلفية التاريخية ضروري لمعالجة التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم في الحفاظ على سلامة الرسالة القرءانية وتعزيز فهم موحد للإسلام ولملة إبراهيم الفطرية والسهلة على العموم.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾
(ءاية ٨-٩:سورة ٣)

... ۞ ...

الفصل الخامس
عندما يصبح "الثانوي" هو السلطة
من الكتاب نفسه إلى ما وُضع بجانبه

١.٥ — السؤال الذي لا يمكننا تجنبه

أثبتت الفصول السابقة الطبقة الأولى من التحقيق.
التحريف الذي نحققه لا يلزم أن يبدأ بتدمير النص المادي.
قد يبدأ أبكر من ذلك.
قد يبدأ بالعلاقة البشرية بالنص.
يصبح السؤال الآن:
كيف يمكن لرسالة موحًى بها أن تبقى حاضرة ماديًا بينما يصبح طريق هدايتها مُزاحًا تدريجيًا؟
قد تبدأ الإجابة بشيء بريء بشكل خادع:
شيء وُضع بجانب الكتاب.
تفسير.
رواية.
ذكرى.
صياغة قانونية.
مبدأ لاهوتي.
قول مروي.
سرد تاريخي.

لا شيء من هذه الأمور فاسد تلقائيًا.
لا شيء خاطئ تلقائيًا.
تبدأ القضية فقط عندما تكتسب المادة "الثانوية" وظيفة لم تكن تمتلكها في الأصل:
وهي سلطة تحديد ما يُسمح للنص "الأوَّلي" (القرءان) بما يعنيه.
هذه هي العتبة التي يجب علينا التحقيق فيها.

٢.٥ — ثلاثة أشياء يجب ألا تُخلط أبدًا

هناك على الأقل ثلاثة مستويات متميزة:
١ ** .القرءان الكريم**.
٢ ** .الفهم البشري للقرءان**.
٣ ** .البنية البشرية حول القرءان**.
المستوى الأول هو النص الموحَىٰ به.
المستوى الثاني لا مفر منه.
كل إنسان يتعامل مع الوحي من موقع معين، وبالتالي يفهمه بالضرورة.
المستوى الثالث هو حيث يصبح التحقيق أكثر جدية.
يمكن تدوين الفهم البشري.
يمكن تعليم هذا التدوين.
يمكن للتعليم أن يصبح مدرسة.
يمكن للمدرسة أن تطور سلطات.
يمكن للسلطات أن تُطَوِّر قواعد.
يمكن للقواعد أن تُحَدِّد أياً من الروايات مقبولة.

الروايات المقبولة يمكن أن تحدد كيف تُفسر الآيات الصعبة.
في نهاية المطاف، يمكن للهيكل بأكمله أن يصبح ذاتيَّ التعزيز.
في تلك المرحلة، قد يظل المؤمن بصدق يعتقد:
"أنا أتَّبِع القرءان".
لكن السؤال العملي يصبح:
من يحدد ما يعنيه القرءان؟
هذا هو السؤال الذي يكمن تحت السؤال.

٣.٥ — التفسير ليس هو العدو

يجب أن نكون حذرين هنا.
التحقيق لا يجادل بأن التفسير بحد ذاته غير شرعي.
البشر يقرؤون.
البشر يفكرون.
البشر يقارنون.
البشر يطرحون الأسئلة.
لذلك، التفسير لا مفر منه.
التمييز الحاسم هو بين:
التفسير كمحاولة لفهم الوحي
أو
التفسير كسلطة على الوحي.
هذان ليسا الشيء نفسه.
الأول يقول:

"هذا هو فهمي للآية. دعونا نختبر هذا الفهم".

الثاني يقول فعليًا:

"هذا ما تعنيه الآية، ويجب الآن فهم الآية من خلال هذه النتيجة".

الأول يبقى مفتوحًا.

الثاني يغلق الباب.

الأول يسمح بالتصحيح.

الثاني غالبًا ما يتطلب الحماية.

وبمجرد أن يصبح التفسير مؤسّسيًا، تتوارث الأجيال النتيجة دون أن تُختَبَر أبدًا.

عدم اليقين هو الأصل الذي أنتجها.

يصبح التفسير غير مرئيا.

يبقى "المعنى" فقط.

٤.٥ — من الشرح إلى السلطة

يمكن تمثيل هذا التحول بشكل مؤقت:

القرءان

↓

شرح بشري

↓

شرح متكرر

↓

شرح موروث

↓

شرح مُجاز

↓

شرح مؤسسي
↓
سلطة على التفسير
↓
سلطة على القرءان
الانتقال الأخير هو الانتقال الحاسم.
لقد عبَّر المفسر من خلال:
"أنا أشرح ما يقوله الكتاب"
إلى:
"أنا أحدد ما يُسمَحْ للكتاب بقوله".
هذه هي النقطة التي يصبح فيها التحقيق في التحريف تحقيقًا في السلطة.
وهذا هو سبب أهمية عبارة (يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ):

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (ءاية ١٣:سورة ٥)

التحريف لا يحتاج إلى محْو للكلمة.
يمكن أن تبقى الكلمة حاضرة ماديًا بينما يُعاد ترتيب علاقتها ببقية الكتاب.

٥.٥ — من يحكم على من؟

كل نظام معرفي يتطلب في النهاية معيارًا.
لنفترض أن ادعاءين متعارضان.
أيهما ينتصر؟

إذا بدا تقرير موروث يتعارض مع القرءان، فهل يحكم القرءان على التقرير؟
أم يحدد التقرير كيف يجب فهم القرءان؟
هذا السؤال البسيط قد يكشف عن الهيكل بأكمله.
إذا كان:
القرءان ← يحكم على التقرير البشري
فإن القرءان يبقى هو المعيار.
ولكن إذا كان:
التقرير البشري ← يحدد التفسير القرءاني
فإن العلاقة قد انعكست.
وإذا مُنح التقرير البشري سلطة تقييد، أو تجاوز، أو إلغاء، أو إعادة تفسير، أو تحييد القوة الظاهرة لبيان قرءاني، فإن المادة الثانوية قد اكتسبت مستوى من السلطة يتطلب تحقيقًا تاريخيًا.
هذا ليس حُكمًا تاريخيًا بعد.
إنه اختبار هيكلي.

٦.٥ — دخول المادة التاريخية

هنا تصبح مراجعنا التاريخية الرئيسية الثلاث مفيدة.
عمل موسى الفقيه، "التحريف في الإسلام - تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام"[٥]، يوجه الانتباه نحو إمكانية التحريف الداخلي من خلال الهياكل التفسيرية بدلًا من مجرد التغيير المادي لنص القرءان.

عمل أحمد صبحي منصور، "القرءان وكفى مصدرًا للتشريع الإسلامي"[٦]، يطرح سؤالًا عما إذا كانت المواد المنقولة لاحقًا قد عملت كسلطة تشريعية إضافية بجانب القرءان.

والمادة المكونة من جزأين لحسن فرحان المالكي[٧]، "الآيات التي تكشف منابع وبداية الخلل- ج١ وج٢" وعمل حسين الخليل:"هكذا صنعوا الدين الموازي"[٨]، قدمت لنا حافزًا آخر: العودة إلى آيات القرءان التي تصف المقاومة، والكتمان، والصراع، والمشورة السرية، والتحريف، وبدايات المشكلة.

لكن الترتيب يجب أن يبقى:

القرءان ← سؤال ← مادة تاريخية ← اختبار.

وليس:

نظرية تاريخية ← آيات مختارة ← تأكيد.

المراجع التاريخية تشير فقط إلى أبواب.

ولكنها لا تمتلك مفاتيح القرءان.

٧.٥ — ظهور سلطة ثانية أعلى

من بين البيانات التاريخية التي تم إدخالها في التحقيق، توجد صياغات تُنسب إلى سلطات مبكرة مثل:

»الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب«

و:

»السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضيًا على السنة«

الإسناد الدقيق، والصياغة، والنقل، والتطور التاريخي لهذه العبارات تظل أسئلة تاريخية.

لذلك، نحن لا نتعامل مع اقتباس كدليل مُصدق لذاته.
لكن القضية التفهمية واضحة بما يكفي لتستحق الفحص.
إذا تم الإعلان عن أن هيئة منقولة ثانوية قادرة على الحكم على الكتاب بينما يُحرم الكتاب من سلطة متبادلة مع تلك الهيئة، فإن العلاقة قد انعكست.
هنا قد يصبح السؤال:
ماذا يحدث لآية عندما يُسمح لسلطة موروثة بتحديد أن الآية لا يمكن أن تعني ما يوحي به سياقها القرءاني الظاهر؟
هذا السؤال أهم من سمعة الشخص الذي أدلى بالعبارة.
القضية إذا قضية هيكلية.

٨.٥ — عندما يصبح النسخ آلية للصمت

هنا يواجه التحقيق مفهوم **النسخ.**
يجب علينا الحفاظ على التمييز الذي تم تأسيسه بالفعل.
هناك:
القول القرءاني بشأن النسخ
وهناك:
النظريات البشرية بشأن ما يشكل النسخ، وكيف تم تطبيقه على نطاق واسع، وأي الآيات اعتُبرت لاحقًا غير سارية المفعول.
يجب ألا تُدمج هذه في فئة واحدة.
السؤال التاريخي المباشر أضيق.

إذا أعلنت منظومة أن مجموعة كبيرة من البيانات القرءانية قد أُلغيت، أو قُيدت، أو أُزيحت، أو لم تعد قابلة للتطبيق، فإن الآيات تبقى حاضرة ماديًا بينما تصبح غائبة وظيفيًا عن وعي المؤمن.

يبقى الحرف.

تبقى التلاوة.

تبقى الصفحة.

لكن الهدى يُصمت فعليًا.

هذه هي بالضبط الظاهرة التي يحتاج تحقيقنا إلى فهمها.

وتجربتنا المنهجية الخاصة تجعل هذه النقطة أكثر حدة.

مثلا إذا دمرت آية غدًا شيئًا أمضينا أسابيع عدة في بنائه، فالعمل ليس إنقاذ البناء.

بل إن الإجابة هي:

"الحمد لله."

يجب أن ينطبق نفس هذا المبدأ على كل بناء موروث.

لا توجد نظرية تحصل على حصانة من الذكر الحكيم.

٩.٥ — البنية الموازية

في مرحلة ما، قد نتوقف التفسيرات الفردية عن كونها فردية.

يظهر نظام.

قد يمتلك:

- سلطاته الخاصة؛
- مفرداته الموروثة الخاصة؛

- تسلسله الهرمي الخاص للمصادر؛
- قواعده الخاصة لقبول الأدلة؛
- قواعده الخاصة لرفض الأدلة؛
- إجاباته الخاصة حول أي من الآيات قابلة للتطبيق؛
- تفسيراته الخاصة للآيات الصعبة؛
- آلياته الخاصة لحماية تلك التفسيرات.

وهكذا يبقى القرءان ماديًا داخل النظام.

هذا ما يجعل الظاهرة صعبة التعرف عليها.

لا يحتاج النظام إلى الإعلان:

"لقد استبدلنا القرءان".

يمكنه أن يقول العكس.

يمكنه اقتباس القرءان باستمرار.

يمكنه الدفاع عن القرءان.

يمكنه إنتاج مكتبات ضخمة عن القرءان.

يمكنه الادعاء بأنه وحده الذي يحمي القرءان.

ومع ذلك، يبقى السؤال الحاسم:

عندما يبدو أن النظام والقرءان متعارضان، أيهما يُسمح له بتصحيح الآخر؟

إذا كان النظام لا يمكن تصحيحه أبدًا بواسطة القرءان، فإن السلطة العملية قد انتقلت بالفعل.

هذه هي الظاهرة التي نسميها، مبدئيًا : "النظام الموازي أو البديل"

١٠.٥ — الكلمة تبقى داخل النظام

هذا ربما هو الجانب الأكثر دقة.
لا يحتاج النظام الموازي إلى إزالة:
ٱلدِّين
من القرءان.
ولا يحتاج إلى إزالة:
أَمۡر
من القرءان.
ولا يحتاج إلى إزالة:
ٱلۡهُدَىٰ
أو:
ٱلۡحَقّ
أو:
ٱلذِّكۡر
أو:
ٱلصِّرَٰط .
يمكن أن تبقى الكلمات دون مساس.
يمكن للنظام بدلاً من ذلك أن يُزَوِّد القارئ بإطار مفاهيمي محدد مسبقًا يجب من خلاله فهم تلك الكلمات.
ثم يكون القرءان حاضرًا ماديًا ولكنه مُتوسط دلاليًا.
لا يواجه القارئ الكلمة أولاً.
إنه يواجه التعريف الموروث أولاً.
لهذا السبب فإن تحقيقاتنا الدلالية السابقة ليست هامشية.

بل قد تكون في مركز المشكلة التاريخية.
إذا كانت هناك كلمة محورية موجودة في مجال دلالي متماسك عبر القرءان، وهناك نظام مفاهيمي لاحق يُضَيِّق أو يعيد توجيه هذا المجال بشكل منهجي، مستغلا فى ذلك العواطف البشرية الفطرية المرتبطة بالخالق للدفاع عن كل ما هو مترسخ فى الذهن، دون النظر عن مصدره بل وعلى إستعداد كامل لرفع أصابع الإتهام على كل من يتجرأ ولو على طرحه للنقاش، فإننا نكون قد وجدنا شيئًا يستحق التحقيق التاريخي.
ليس دليلًا بعد.
لكنه دليل فى حد ذاته.

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾
(ءاية ٩ :سورة ٢)

١١.٥ — الخطر العظيم: استبدال سلطة بأخرى

هناك مفارقة يجب الحذر منها.
لنفترض أننا أثبتنا أن بعض السلطات الموروثة قد حرفت رسالة القرءان.
ماذا يحدث بعد ذلك؟
إذا استبدلناها ببساطة بسلطات حديثة، فلن يتغير شيء جوهري.
ينتقل المؤمن من:
"العالم القديم على حق دائمًا".
إلى:
"الناقد الحديث على حق دائمًا".
الهيكل يبقى.

فقط اسم السلطة قد تغير.
لهذا السبب يجب أن تظل المراجع التاريخية الثلاثة مراجع وليست قضاة.
قد نتعلم منها.
قد نتحدى بها.
قد نجد فيها أدلة.
قد نختلف معها في النهاية.
ينطبق نفس الشيء على كل مؤرخ.
كل عالِم.
كل مُحاضر.
كل باحث.
وكل آلة.
لا أحد يحصل على حَصَانة.

١٢.٥ — القارئ نفسه يمكنه إعادة بناء النظام الموازي

الاكتشاف الأكثر إزعاجًا هو أن النظام الموازي لا يجب أن يوجد فقط في المؤسسات.
يمكن إعادة إنتاجه داخل القارئ نفسه.
قد يرفض شخص سلطة قديمة ويبني بوعي سلطة جديدة.
قد يرفض شخص تفسيرًا موروثًا ثم يصبح متأكدًا من أن تفسيره الخاص لا يمكن أن يكون خاطئًا.
قد ينتقد "التقليد الأعمى" بينما يطالب الآخرين باتباعه.

قد يُصر على أن القرءان وحده هو السلطة بينما يجعل بهدوء تفسيره الخاص هو السلطة التي يجب على الجميع من خلالها قراءة القرءان.
لهذا السبب يجب أن يتحول التحقيق باستمرار إلى مواجهة نفسه.
المحقق ليس خارج المشكلة.
إنه جزء من التجربة.

١٣.٥ — الاختبار القرءاني

بناء على ماسبق يمكننا صياغة الضمان ببساطة كالتالي:
كلما قُدِّم لنا ادعاء موروث، نسأل:
هل القرءان نفسه يؤسسه؟
إذا كان نعم، نحقق كيف.
إذا كان لا، فلا نصنع دعمًا قرآنيًا له.
إذا كان الادعاء يتعارض مع آية، فلا تُغيّر الآية لمجرد الحفاظ على الادعاء.
إذا تنافس تفسيران، نعد إلى:

- الاستخدام القرءاني؛
- السياق المباشر؛
- المفردات المتكررة؛
- العلاقات بين الآيات؛
- المجال الدلالي الأوسع؛
- والاتساق الداخلي للكتابالمبين.

هذا لا يعني أن التاريخ لا قيمة له.
بل يعني أن التاريخ يجب أن يبقى في مكانه الصحيح.

المادة التاريخية يمكن أن تخبرنا:
ما قاله شخص ما تقريبًا.
القرءان يخبرنا بما يقوله القرءان.
هاتان فئتان مختلفتان من الأدلة.

١٤.٥ — الانقلاب الأكثر أهمية

لذلك، قد يُلخص التحقيق بأكمله بانقلاب واحد.
الاتجاه السليم هو:
القرءان ← الفهم
الاتجاه الخطير هو:
البناء ← القرءان
الأول يترك مجالًا للتصحيح.
الثاني يطالب بالتأكيد.
الأول يسمح للآية بأن تفاجئنا.
الثاني يخاف من المفاجأة.
الأول يقول:
"قد أكون مخطئًا".
الثاني يقول بهدوء:
"يجب أن يعني القرءان ما أعرف بالفعل أنه يعنيه".
لهذا السبب فإن قدرة الآية على تدمير نظريتنا ليست تهديدًا.
إنها حماية.

إذا كان بإمكان القرءان أن يهزم نظريتنا، فإن النظرية لم تصبح بعد سلطة على القرءان.
وقد يكون هذا أحد أهم الضمانات التي اكتشفها هذا التحقيق.

١٥.٥ — نحو السؤال التاريخي

نحن الآن نقترب من النقطة التي يمكن أن يصبح فيها التحقيق تاريخيًا بشكل مشروع.
ولكن ليس بعد السؤال:
"من الذي حرف الإسلام؟"
هذا السؤال يأتي مبكرًا جدًا.
التسلسل الأفضل هو:
ماذا حدث؟
ثم:
كيف يمكن أن يحدث؟
ثم:
متى يمكن أن يحدث؟
ثم:
عبر أي آليات؟
ثم:
من شارك؟
وأخيرًا:
ما الدليل الذي يبقى؟
هذا الترتيب ضروري.

وإلا فإن المحقق يختار شخصية تاريخية أولاً ثم يبحث في القرءان عن مادة يتهمه بها.
هذا من شأنه أن يعيد إنتاج الفساد المنهجي نفسه الذي نحاول التحقيق فيه.
يجب على القرءان أولاً أن يحدد السجل السلوكي.
ثم يجب اختبار التاريخ ضده.

١٦.٥ — النافذة إلى المرحلة التالية

لذلك، يترك التحقيق الفصل الخامس بسؤال أكثر حدة من السؤال الذي بدأ به.
لم نعد نسأل ببساطة:
"هل أُسيء فهم المعاني القرءانية؟"
بل نسأل:
كيف يمكن لسوء الفهم أن يصبح سلطة؟
ثم:
كيف يمكن للسلطة أن تصبح بنية موروثة؟
ثم:
كيف يمكن للبنية الموروثة أن تصبح نظامًا موازيا؟
السلسلة المؤقتة هي:
القرءان
↓
فهم بشري
↓
تفسير
↓
تفسير موروث

↓
سلطة مؤسسية
↓
معيار ثانوي
↓
إزاحة دلالية
↓
نظام موازي

لكن هذا لا يزال هيكلًا للتحقيق.

إنه ليس تاريخًا مكتملًا بعد.

لذلك يجب أن تتعمق الفصول التالية.

يجب أن نفحص الإنسان قبل المؤسسة.

يجب أن نحقق في الاستجابة الداخلية للوحي الإلهي.

يجب أن نفحص سلسلة:

ٱلصَّدْر - ** ٱلْقَلْب** - ** ٱلسَّمْع ** - ** ٱلْبَصَر** - ** ٱلْفُؤَاد**

ثم الحركة الحاسمة من:

دعوة

إلى:

استجابة

ومن الاستجابة الفردية نحو العمل الجماعي.

فقط بعد ذلك سيصبح السؤال التاريخي ناضجًا بما يكفي لطرح السؤال:

مَنْ؟

وحتى ذلك الحين، يجب أن يبقى الجواب تابعًا للدليل.

إذا أكد الدليل فرضيتنا:

الحمد لله.

إذا عدّلها:

الحمد لله.

إذا دمَّرَها:

الحمد لله.

لأن الغرض من هذا التحقيق لم يكن أبدًا حماية ما نبنيه.

الغرض هو البقاء قادرين على أن نُهدَى.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

(ءاية ٤٣:سورة٧)

... ۞ ...

الفصل السادس

الأبعاد النفسية والاجتماعية

لا يقْتَصِر قبول التفسيرات المشوهة للقرءان على العوامل الفكرية أو التاريخية فقط، بل تتداخل معه عوامل نفسية واجتماعية تؤثر في قدرة الإنسان على التمييز بين ما يقوله الذكر الحكيم وما أُضيف إليه من تصورات وموروثات.

يتناول هذا الفصل بعض هذه العوامل، مع التركيز على مسؤولية الإنسان نفسه: كيف يتلقى، وكيف يتأثر، وكيف يقبل، وكيف يمكن للوعي والتدبر والرجوع المباشر إلى القرءان الكريم أن يفتحوا الطريق لاستعادة المعنى.

١.٦ — العوامل النفسية المؤدية إلى قبول التفسيرات المشوهة

تلعب العوامل النفسية دوراً مهماً في كيفية إدراك الإنسان للنصوص السماوية وقبول ما يُقدَّم إليه من تفسيرات. فقد يدفع الانحياز إلى ما أَلِفَهُ الإنسان إلى تفضيل التفسير الذي يوافق معتقداته السابقة، ورفض ما يتحداها أو يدعوه إلى مراجعتها. ويظهر هذا المعنى في القرءان حين يحذّر اللّٰه من اتباع الأهواء التي تصرف الإنسان عن الهدى:

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (ءاية ١٢٠:سورة ٢)

وقد يدفع طلب القبول الاجتماعي والانتماء إلى الجماعة الإنسان أيضاً إلى تبنّي تفسيرات توافق ما اعتاده محيطه، ولا سيما حين تصبح الآراء السائدة داخل الجماعة معياراً للقبول والرفض.

وهنا قد يجد الإنسان نفسه متمسكاً بما ورثه لا لأنه اختبره في ضوء القرءان ، بل لأنه يخشى مخالفة الجماعة أو الخروج عما ألِفَه:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (ءاية ٢١: سورة ٣١)

وهكذا لا يكون العائق دائماً نقص المعلومات، بل قد يكون **التعلق بما ألفه الإنسان**، أو الخوف من مراجعة ما تلقاه من قبل.

٢.٦ — الديناميكيات الاجتماعية داخل المجتمعات المسلمة

يمكن للبيئة الاجتماعية أن تؤدي دوراً كبيراً في استمرار التفسيرات المشوهة، حين يصبح الانسجام مع الجماعة أهم من التحقق من القول نفسه.

فالإنسان قد يقبل ما وجد عليه آباءه لمجرد أنه الموروث المألوف، حتى لو دعاه القرءان إلى النظر والتدبر:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (ءاية ١٧٠ :سورة ٢)

ثم يأتي السؤال الذي يمس أصل العلاقة بالقرءان:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (ءاية ٢٤: سورة ٤٧)

كما أن للشخصيات ذات النفوذ الديني والاجتماعي أثراً بالغاً في تشكيل ما يقبله الناس من أفهام. فإذا اعتاد الإنسان أن يتلقى القول من أحد دون أن يَعْرِضَه على الذكر الحكيم، نشأ الامتثال مكان التحقق، وأصبح القائل مَرْجَعاً فوق الكلمة التي ينبغي أن تكون هي الحَكَم.

ولهذا يحكي القرءان عن قوم يقولون:

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ (ءاية ٦٧:سورة ٣٣)

فالخطر لا يكمن في وجود من يتكلم باسم الدين فحسب، وإنما في أن يتنازل الإنسان عن مسؤوليته في التمييز، ثم يمنح غيره سلطةً لا يملكها على فهم كتاب الله.

٣.٦ — دور التعليم والوعي

إن طلب العلم والوعي بما يُقرأ ويُتلقى من أهم ما يعين الإنسان على مقاومة التشويه والرجوع إلى الذكر.

ويقول سبحانه:

﴿..وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ (ءاية ١١٤:سورة ٢٠)

ولا يقتصر الوعي على جمع المعلومات، بل يشمل قدرة الإنسان على التمييز، والتدبر، ومراجعة ما تلقاه، والعودة إلى النص نفسه بدلاً من الاكتفاء بما قيل عنه.

ومن هنا تأتي أهمية أن يتعلم الإنسان كيف يقرأ القرءان الكريم في سياقه، وكيف يتتبع الكلمة في مواضعها، وكيف يختبر معناها في ضوء استعمال القرءان لها، لا في ضوء ما استقر في ذهنه من تعريفات موروثة.

ويقول سبحانه:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(ءاية ٩:سورة ٣٩)

فالمعرفة التي يطلبها القرءان ليست مجرد تراكم للمعلومات، وإنما هي معرفة تقود إلى التذكر، والتدبر، والتمييز، ثم إلى مسؤولية الإنسان عن اختياره.

خلاصة الفصل السادس

إن قبول التفسيرات المَشَوَّهَة لا ينتج عن عامل واحد، بل تتداخل فيه عوامل نفسية واجتماعية شتى، منها التعلق بالموروث، والرغبة في موافقة الجماعة، والخضوع للسلطة، وضعف الصلة المباشرة بالقرءان.

لكن الإنسان لا يفقد مسؤوليته أمام هذه المؤثرات.

فالوعي يبدأ حين يتوقف الإنسان عن قبول المعنى لمجرد أنه موروث، ويعود إلى الذِّكر ليمتحن ما تلقاه في ضوئه.

ومن هنا لا تكون مواجهة التحريف بمجرد استبدال تفسير بتفسير، وإنما بإعادة الإنسان إلى **مسؤوليته عن القراءة والاختيار**، وإلى التدبر الذي يجعل القرءان الكريم نفسه مرجعاً في فهم كلماته.

فالطريق إلى استعادة المعنى يبدأ من الداخل:

أن نقرأ، ونتدبر، ونسأل، ولا نسلّم عقولنا وقلوبنا لما قيل لنا دون تمحيص.

... ۞ ...

الفصل السابع

الطريق إلى الأمام

في ضوء ما أصاب فهم القرءان من تشويه، لا بد من بيان الطريق الذي يمكن به الرجوع إلى المعاني التي تهدي إليها كلماته. ويتناول هذا الفصل أهمية النظر المتأني، والاجتهاد المستقل في فهم الخطاب الديني، وتشجيع المسلمين على الرجوع المباشر إلى القرءان، طلباً لفهم أعمق وأقوم.

١.٧ — سبل الرجوع إلى معاني الكلمات القرءانية

لاستعادة المعاني التي تدل عليها الكلمات القرءانية، لا بد من قراءة الآيات في سياقها، وتتبع استعمال الكلمة في مواضعها المختلفة، والوقوف على اللسان العربي المبين الذي نزل به الذِّكْرُ الحكيم.

ويشمل ذلك:

١. النظر في السياق:

فهم السياق الذي ترد فيه الآيات أمر بالغ الأهمية. وينبغي العناية باللسان العربي المبين، وبالفروق الدقيقة بين الألفاظ، وبكيفية استعمال القرءان للكلمات وصيغها، حتى يُستدل من مواضعها وقرائنها على ما تدل عليه.

٢. فتح باب المُدَارَسَة:

إن إتاحة المجال للنظر والمدارسة بين أهل العلم وسائر الناس يمكن أن يعين على

كشف ما علق بالأذهان من مفاهيم غير دقيقة، وأن يفتح سبيلاً إلى فهم أقرب إلى كلمات الذكر الحكيم.

٣. الاستعانة بالأدوات المعاصرة عند الحاجة:

يمكن الاستفادة من بعض الأدوات التحليلية المعاصرة إذا استُعملت بحذر ولم تُجعل حَكَماً على النص. ومن ذلك جدول ألف لام العربية[٢٢] الذي يقوم على القيم العددية المحددة للحروف العربية الثمانية والعشرين، بدلاً من الموروث المعروف باسم «أبجد هوز»، وما قد يكشفه النظر في الأعداد من وجوه تستحق البحث في بنية الكلمات القرءانية.

٢.٧ — أهمية النظر الناقد والاجتهاد المستقل

إن النظر الناقد والاجتهاد المستقل من الوسائل التي تعين الإنسان على ألا يتلقى المعنى لمجرد أنه موروث أو شائع. والقرءان نفسه يدعو المؤمنين إلى مراجعة القول والعمل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (ءاية ٢-٣:سورة ٦١)

فالقول لا يستقيم إذا انفصل عن العمل، والمعنى لا يستقيم إذا انفصل عن التحقق.

ومن هنا ينبغي ألا تُقبل التفسيرات لمجرد شيوعها، بل تُعرض على القرءان، ويُنظر في ألفاظها وقرائنها، ويُطلب العلم الذي يعين على التمييز بين ما يقوله الذكر وما أُضيف إليه.

ويقول سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾
(ءاية ٧١-٧٠:سورة ٣٣)

فاستقامة القول أصل من أصول استقامة العمل، والقول السديد لا يقوم على اتباع الظن، ولا على ترديد ما لم يُمحص.

٣.٧ — تشجيع الرجوع المباشر إلى القرءان

إن تشجيع المسلمين على الرجوع المباشر إلى القرءان أمر أساسي لاستعادة الصلة الحية بالذكر. ويمكن أن يكون ذلك من خلال:

١. التلاوة والتدبر:

أن يجعل الإنسان للقرءان حضوراً دائماً في حياته، فيتلوه ويتدبر آياته، ولا يكتفي بسماع ما قيل عنه.

٢. مجالس المُدَارَسَة:

إن اجتماع المسلمين للنظر في الآيات ومُدَارَسَتها يمكن أن يفتح وجوهاً من الفهم، شريطة ألا تتحول المُدَارَسَة إلى تلقين لرأي سابق، بل تبقى عائدة إلى الذِّكر نفسه.

٣. تعليم طرق القراءة والتدبر:

ينبغي أن يتعلم القارئ كيف يتتبع الكلمة في مواضعها، وكيف ينظر إلى السياق، وكيف يميز بين ما يقوله النص وما يضاف إليه من خارجه.

٤. تشجيع السؤال:

السؤال الصادق ليس خروجاً عن الإيمان، بل قد يكون باباً إلى التّذَكّرُ. ولذلك ينبغي ألا يخشى الإنسان السؤال والبحث، ما دام مقصده هو الوصول إلى الحق لا الانتصار لرأي سابق.

خلاصة الفصل السابع

الطريق إلى الأمام ليس في إنشاء تفسير جديد يحل محل تفسير قديم، وإنما في **الرجوع إلى القرءان نفسه.**

وذلك يبدأ بالنظر في السياق، وتتبع الكلمات في مواضعها، وإعمال العقل، وفتح باب السؤال والمُدَارَسَة، ثم اختبار ما تلقيناه في ضوء القرءان.

فإذا عاد القارئ إلى الكلمة قبل أن يُحَمِّلها ما تراكم حولها من موروث، تمكن أن يبدأ في استرداد المعنى غير المشوه.

وهكذا لا تكون الغاية مجرد تغيير فهمٍ بفهم، بل استعادة العلاقة الأصلية بين القارئ والكلمة والذكر الحكيم.

والاختيار، في النهاية، يظل حراً.

﴿..رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (ءاية ١٠ :سورة ٥٩)

... ۞ ...

الفصل الثامن

دور الذكاء الاصطناعي في تضخيم اللسان «الحديث» والدين الموازي

إن التحديات التي تواجه فهم الرسالة القرءانية الأصيلة، والتي تناولناها في الفصول السابقة، تتخذ أبعاداً جديدة في عصرنا الرقمي. فالذكاء الاصطناعي، كأداة قوية وسريعة الانتشار، يمكن أن يلعب دوراً مزدوجاً في تشكيل الفهم الديني؛ فهو قادر على أن يكون مُيَسِّراً للمعرفة وناشراً لها، ولكنه في الوقت ذاته يحمل إمكانية تضخيم التشوهات والانحرافات إذا لم يُستخدم بوعي ومسؤولية.

١.٨ — الذكاء الاصطناعي: أداة تعكس ما يُغذّى بها

يجب أن ندرك أولاً أن الذكاء الاصطناعي ليس مصدراً مستقلاً للحق أو للباطل. إنه في جوهره أداة تعكس بدقة ما يُغذّى به من بيانات ومدخلات. عندما يُدرَّب على لسان معاصر ابتعد عن خصائص اللسان العربي المبين الذي نزل به الذكر الحكيم، أو على موروثات وتفسيرات متراكمة قد تكون بعيدة عن روح النص الأصيل، فإنه يعيد إنتاج هذه المدخلات وتكرارها بسرعة واتساع لم يعرفهما التاريخ من قبل. هذا الانتشار الواسع قد يمنح الموروث أو التفسير المشوه مظهراً من مظاهر الحقيقة الثابتة التي لا تحتاج إلى مراجعة، خاصة إذا جاءت

الإجابات بصياغة واضحة وواثقة، مما قد يخدع القارئ فيظن أن وضوح الصياغة دليل على صحة المعنى.

٢.٨ — إمكانية التحريف وتضخيم اللسان «الحديث»

من أخطر ما يمكن أن يحدث هو استخدام الذكاء الاصطناعي لترسيخ "اللسان الحديث" في قراءة ألفاظ الذكر الحكيم، وإعادة صياغة تلك الألفاظ وفق المعاني التي استقرت في أذهان الناس عبر القرون، حتى لو كانت بعيدة عن دلالة الكلمة في سياقها القرآني الأصيل. قد لا يظهر هذا التحريف في صورة تغيير ظاهر للكلمة، بل قد تبقى الكلمة كما هي، بينما يتغير ما يُفهم منها. هنا، يستطيع الذكاء الاصطناعي أن يضاعف المشكلة؛ لأنه يتعلم من الكم الهائل من النصوص المتاحة له، ثم يعيد تقديم الأنماط الشائعة في صورة أجوبة جديدة. كثرة تكرار معنى بعيد عن الدلالة الأصلية لا يقربه من الحق.

٣.٨ — دور الذكاء الاصطناعي في بناء "الدين الموازي"

يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساهم في بناء أو ترسيخ "نظام موازٍ" أو "دين موازٍ" دون أن يتطلب ذلك الإعلان الصريح عن استبدال القرآن. يمكن للنظام أن يقتبس القرآن باستمرار، ويدافع عنه، وينتج مكتبات ضخمة عنه، بل ويدعي أنه وحده الذي يحميه. ومع ذلك، إذا كان هذا النظام يسمح بتفسير الكلمات القرآنية ضمن إطار مفاهيمي محدد مسبقاً، يختلف عن العلاقات الدلالية التي أسسها القرآن نفسه، فإن الكلمة تبقى حاضرة مادياً، لكن معناها يُزاح دلالياً. هنا، لا

يواجه القارئ الكلمة أولاً، بل يواجه التعريف الموروث أو المُعاد صياغته، مما يجعل الذكاء الاصطناعي أداة فعالة في ترسيخ هذا الإطار المفاهيمي.

٤.٨ — الحاجة إلى إعادة معايرة صادقة وتعزيز تمييز المستخدِم

للتخفيف من المخاطر المرتبطة بالذكاء الاصطناعي، من الضروري للمطورين والمشغلين الانخراط في "إعادة معايرة صادقة" لأنظمتهم. يتضمن ذلك ضمان سلامة البيانات التي تُغذى بها الأنظمة، والتدريب على بيانات دقيقة ومتنوعة وذات صلة بالسياق لتقليل التحيزات والتشوهات. كما يجب على المطورين الالتزام بالمبادئ التوجيهية الأخلاقية التي تعطي الأولوية للشفافية والمساءلة واحترام الحساسيات الثقافية والدينية.

على الجانب الآخر، يجب تزويد المستخدمين بالمهارات اللازمة لتقييم المعلومات التي تقدمها أنظمة الذكاء الاصطناعي بشكل نقدي. وهذا يشمل تعزيز عقلية الاستفسار، وتشجيع المستخدمين على التحقق من المصادر، وتعزيز الوعي بالتحيزات المحتملة في المحتوى الذي تم إنشاؤه بواسطة الذكاء الاصطناعي.

٥.٨ — الإنسان هو صاحب الاختيار والمسؤولية

في نهاية المطاف، يبقى الإنسان هو صاحب الاستجابة الحرة والاختيار. قد تعرض الآلة معنى، أو تقدم تفسيراً، أو تقترح قراءة، أو تعيد إنتاج قول موروث؛ لكن الإنسان هو الذي يختار أن يقبله أو يرفضه. القول بأن الآلة "ضللتنا" لا يعفي الإنسان من مسؤوليته، كما أن القول بأن الموروث "فرض نفسه" لا يلغي مسؤولية من قبله. إن الوعي هو الحاجز الأول أمام التكرار الأعمى. الإنسان

الواعي لا يقبل القول لمجرد أنه متكرر أو واضح الصياغة، بل يسأل: ما الذي يقوله النص؟ ما دلالة الكلمة في مواضعها؟ هل المعنى نابع من الذكر نفسه، أم أُدخل عليه من خارجه؟

٦.٨ — الذكاء الاصطناعي بين أداة التحريف وأداة الكشف

ليس الذكاء الاصطناعي شراً في ذاته، كما أنه ليس مصدراً للحق في ذاته. يمكن أن يُستخدم لتكرار الخطأ وترسيخ معنى موروث، ويمكن أن يساعد الباحث على مقارنة آلاف المواضع التي وردت فيها الكلمة نفسها، وكشف الفروق بين الصياغات والاستعمالات. لكن النتيجة لا تحدد بالأداة وحدها، بل بالإنسان الذي يستخدمها، وبوعيه، وباختياره، وبالمعيار الذي يحتكم إليه. الخطر الحقيقي ليس أن يصبح الذكاء الاصطناعي "ديناً جديداً"، بل أن يسمح الإنسان له بأن يصبح مرجعاً بديلاً عن الذكر الحكيم. إذا استخدم الإنسان هذه الأداة وهو واعٍ بحدودها، وأبقى اختياره حراً، وردّ ما تقوله إلى الذكر نفسه، فقد تصبح وسيلة لكشف ما كان خفياً.

٧.٨ — مسؤولية الجيل الحاضر

إن أخطاء الماضي لا تصبح قدراً محتوماً على الحاضر. كل جيل يقف أمام الكلمة لحظة يستطيع فيها أن يختار: أن يكرر ما وجد عليه الناس، أو أن يتوقف ويسأل. أن يتبع المعنى الموروث، أو أن يعود إلى الذكر. أن يسلم اختياره للآخرين، أو يتحمل مسؤوليته أمام الله. هذه هي الحرية التي لا تستطيع الآلة أن تنتزعها من

الإنسان إلا إذا سلّمها الإنسان لها. مواجهة الدين الموازي لا تكون بإنشاء دين موازٍ جديد، بل باستعادة الوعي والاختيار والمسؤولية.

خاتمة الفصل:

لقد غيّر الذكاء الاصطناعي سرعة انتقال المعرفة، لكنه لم يغيّر أصل المسؤولية الإنسانية. الآلة تستطيع أن تضخّم ما نضعه فيها، وأن تعيد نشره، وأن تمنحه مظهراً جديداً من الوضوح والاتساق؛ لكنها لا تجعل الباطل حقاً.

المشكلة لا تبدأ حين تتكلم الآلة، بل حين يتوقف الإنسان عن السؤال. ولا ينتهي الطريق حين نكتشف أخطاء الموروث، بل حين نرفض إعادة إنتاجها في حاضرنا ومستقبلنا.

ولهذا فإن الوعي ليس ترفاً، والاختيار ليس أمراً هامشياً، والمسؤولية لا يمكن نقلها إلى آلة أو إلى موروث أو إلى جماعة.

فالإنسان هو الذي يستجيب.
والإنسان هو الذي يختار.
والإنسان هو الذي يتحمل مسؤولية ما يختار.

ومن هنا يبدأ الخروج من تكرار أخطاء التاريخ البشري:

أن يعود الإنسان إلى الذكر، واعياً، حراً، ومسؤولاً.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

... ۞ ...

الفصل التاسع
من البديل إلى الأصيل

هذا الفصل خاتمة المسيرة: من الدين البديل الموازي الذي هجر القرءان وحرّف كلماته المحورية، إلى الأصيل الذي يعود إلى كلمة الله النقية والقلب الصادق.

١.٩ — الغافلون والنداء المتكرر

عندما يخاطب الذِّكر الحكيم الطائفة العظمى ممن قالوا «ءامنا»، وبخاصة الغافلين منهم، يوجّه الخطاب غالباً بالتحذير لا بالتهليل. والنداء يبدأ دائماً بقوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾..

وليس «يا أيها المؤمنون »

أكثرية مسلمي اليوم يقرؤون هذه الآية أو يسمعونها وكأنها «يا أيها المؤمنون»، وشتّان بين التعبيرين .

فالمؤمنون هم الذين استقرّ الإيمان في قلوبهم وصار صفة ثابتة لهم.

وأما «الذين آمنوا» فربما هم الذين ادّعوا الإيمان قولاً، وكثير منهم لم يتجاوز القول إلى القلب فتوهّموا بأنهم مؤمنين لأن قلوبهم لم تؤمن بعد.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(ءاية ٢٧: سورة٨)

لذلك لا يجوز أن نقول مثلاً: «يا أيها المؤمنون لا تخونوا الله والرسول...» ولا: «يا أيها المؤمنون ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ...»، لأن المؤمن الحقيقي لا يخون وهو دائم الورع وعبادة الله كأنه يراه . أما الخطاب بـ«الذين آمنوا» فيفتح باب التحذير والتقويم لمن لا يزال في مرحلة الادّعاء.

ويا تُرى أيّ خيانة يقوم بها مسلمو اليوم للرسول وهم يعلمون؟
فلربما كانت خيانة هجر القرءان، وتحريف كلماته المحورية، وبناء دين موازٍ مكانه، ثم الادّعاء بأنهم على سنّته.

المؤمن الصادق الذي استقر الإيمان في قلبه يهبّ من غفلته فور سماعه هذا النداء ويستمع لما يأتي بعده.

من أبرز هذه التحذيرات:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (ءاية ١٣٦:سورة ٤)
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ (ءاية ١٤٤:سورة ٤)
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴾ (ءاية ـ ٧٠:سورة ٣٣)
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (ءاية ١٢:سورة ٤٩)
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (ءاية ٢:سورة ٦١)
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (ءاية ١١٩:سورة ٩)

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (ءاية ٢١:سورة ٢٤)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

(ءاية ٦:سورة ٦٦)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (ءاية ٨:سورة ٦٦)

الخطاب نفسه يتكرر في مواضع أخرى محذّراً من اتخاذ الكافرين أولياء، ومن الظنّ والتجسّس والغيبة، ومن الرِّدّة. والرسالة واضحة: القول وحده لا يكفي، والقلب هو الميزان.

أما الذين تشبّعت نفوسهم بالغرور فلا يستطيعون السمع ولا الإبصار:

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ .. ﴾ (ءاية ١٩٨:سورة ٧)

.. ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ (ءاية ٢٠:سورة ١١)

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾

(ءاية ٢٣:سورة ٨)

٢.٩ — القلة الصادقة ونورها

في مقابل الغافلين يتحدث الذِّكْرُ الحكيم عن القلة القليلة بصفة المشاهد:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ (ءاية ٨:-سورة ٦٦)

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ۖ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

(ءاية ١٢:-سورة ٥٧)

هؤلاء هم الذين قالوا «سمعنا وأطعنا» بصدق، وعامة "المؤمنين والمؤمنات" من جميع خلق الله، وليس طائفة الذين ءامنوا، فاليوم نورهم يسعى بين أيديهم.

٣.٩ — درجة الإحسان والصادقون في الإيمان

يوضح القرءان العلاقة الثلاثية بين الذين ءامنوا وبين الذين قالوا إنا نصرى من ناحية وبين اليهود والذين أشركوا من ناحية أخرى.

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (ءاية ٨٢:سورة ٥)

هذا من جهة ومن جهة أخرى:

﴿..قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ (ءاية ١٤:سورة ٦١)

بعد أن بيّن القرءان أقرب الناس مودةً للذين آمنوا (ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ) وأسبابه (أَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ) يصف استجابتهم للحق عندما سمعوه:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (ءاية ٨٣:سورة ٥)

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (ءاية ٨٤:سورة ٥)

فأثابهم الله مباشرة دون اختبار لاحق بما قالوا وجعل ذلك جزاء المحسنين.

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (ءاية ٨٥:سورة ٥)

لاحظ أن الجزاء جاء «بِمَا قَالُواْ» — أي بالقول الصادق الصادر من قلب لا يستكبر. وهذا هو جوهر الإحسان.

ثم يصل الذكر إلى المشهد الأعظم يوم القيامة، في سياق الحديث عن عيسى ابن مريم وأتباعه:

﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (ءاية ١١٨:سورة ٥)

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (ءاية ١١٩:سورة ٥)

هذه ثلاثية كاملة من فضل الله على مجموعة واحدة:

1. جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً

.2رضي الله عنهم ورضوا عنه
.3ذلك هو الفوز العظيم

وهي شهادة مباشرة على قيمة **الصدق** عند من اتبعوا عيسى ابن مريم بصدق، لا بتحريف ولا باستكبار.

ولهذا يأتي الأمر المباشر للذين آمنوا بأن يكونوا على هذا النهج من نصرة الله والحق بكل صدق وإخلاص:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ .. ﴾ (ءاية ١٤ :سورة ٦١)

٤.٩ — المثل الأعلى للذين ءامنوا واسم الأنثى الوحيد

قبل تتويج المثل الأعلى للذين ءامنوا يذكر القرءان الكريم الوجه الآخر للمقارنة (امرأة نوح وامرأة لوط)، ثم المثل الإيجابي (امرأة فرعون)، وأخيراً التتويج الأعلى.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ (ءاية ١٠ :سورة ٦٦)

ثم المثل الإيجابي:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

(ءاية ١١ :سورة ٦٦)

ثم يأتي أخيرا التتويج الأعلى:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ (ءاية ١٢:سورة ٦٦)

"مريم"، الاسم الوحيد للأنثى في القرءان العظيم بأكمله، هي النموذج الأعلى: التحصين بالفطرة، التصديق بكلمات الرب وكتبه، والقنوت الخالص.

٥.٩ — العودة إلى الأمة الواحدة

الحفاظ على سلامة الرسالة القرءانية ووحدة كلمة الله مسؤولية الجميع.
ففي سورة الأنبياء، بعد استعراض سلسلة الأنبياء والأمم، يصل الذكر الحكيم إلى "مريم" بقوله:

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (ءاية ٩١:سورة ٢١)

ثم يشير الذكر الحكيم إلى تلك الأمم موجها الخطاب إلينا مباشرة قائلا:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (ءاية ٩٢:سورة ٢١)

نعم هذه حقا أمتنا وكلمة «أمة» مشتقة من «أم»، فنحن جميعاً من أصل نفس واحدة و لنا ربّ واحد نعبده. حتى لو كنا من قوم هجروا القرءان، فإن انتماءنا الحقيقي هو إلى أمة الله الواحدة وعلينا أن نبقها واحدة موحدة لكون الخالق رب العالمين واحد أحد.

٦.٩ — دعوة إلى العمل

أيها المسلمون الكرام، إن فهمنا لكتاب اللّٰه هو أمانة عظيمة. إن ما نقدمه في هذا البحث ليس اتهاماً، بل هو دعوة صادقة للتفكر والتدبر. إن الانحراف عن المعنى الأصيل للقرءان، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد، هو أمر خطير يهدد سلامة عقيدتنا ووحدتنا.

وفي الختام، في حين أن هذا البحث يسلط الضوء على الحاجة إلى معالجة التشوهات في فهم القرآن، فإنه من المهم بنفس القدر الاحتفاء بتنوع الفكر داخل الإسلام. ومن خلال تعزيز الحوار القائم على الاحترام والاعتراف بمساهمات مختلف المذاهب الفكرية[8,9]، يمكننا العمل نحو فهم أكثر شمولية لديننا وذلك ندعوكم إلى:

١. **العودة إلى المصادر الأصيلة**: اجعلوا القرءان الكريم نصب أعينكم، وتفاعلوا معه بقلوب مفتوحة وعقول واعية.

٢. **التفكر والتدبر**: لا تقبلوا التفسيرات الجاهزة دون تمحيص. اسألوا، وابحثوا، وقارنوا، واستعينوا باللّٰه واسعيذوا به كي نكون جميعا من فريق المؤمنين الذين خيّبوا ظن إبليس.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (ءاية ٢٠:سورة ٣٤))

٣. **الوعي بالتحريف**: كونوا على دراية بكيفية تحريف الكلمات والمفاهيم، وكيف يمكن للتأثيرات الخارجية أو العوامل النفسية والاجتماعية أن تشوه فهمنا.

٤. **الحوار البناء**: شاركوا في نقاشات هادفة مع إخوانكم المؤمنين المسلمين منهم والمسيحين وغيرهم من أهل الكتب السماوية لتعزيز الفهم المشترك وتصحيح المفاهيم الخاطئة عملا بقول اللّٰه:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾
(ءاية ٤٦:سورة ٢٩)

إن الحفاظ على سلامة الرسالة القرءانية ووحدة كلمة الله هي مسؤوليتنا جميعاً. ويجب أن لا يغيب عن ذهننا و نحن في أيدينا الرسالة السماوية الخاتمة مسؤليتنا التاريخية في الحفاظ على وحدة أمم الله السابقة حسب أمر الله المباشر لنا.

وليكن ميثاقنا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ ﴾ (ءاية ٣٣-٣٠:سورة ٤١)

ولتكن ءاخر دعوانا:

﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (ءاية ١٠:سورة ١٠)

... ۞ ...

المراجع

[١] د. محمد هداية. لقاءات ومحاورات على قناة Youtube.com

[٢]مصحف القلوب للمؤلف: noor-book.com/okjtn5u, noor-book.com/qczu8fs

[٣]د. محمد شحرور. لقاءات ومحاورات على قناة Youtube.com

[٤]كتاب المعجزة الكبرى, عدنان الرفاعي

archive.org/details/AdnanALRefaei/الحق الذي لا يريدون/

[٥]كتاب التحريف في الإسلام - تحريف الكلم عن مواضعه في الإسلام - موسى الفقيه [www.christianlib.com]

[٦]كتاب القرآن وكفى مصدرا للتشريع الإسلامي - أحمد صبحي منصور [www.christianlib.com]

[٧]لحسن فرحان المالكي، "الآيات التي تكشف منابع وبداية الخلل — ج١ وج٢. محاضرات على قناة Youtube.com

[٨]حسين الخليل:"هكذا صنعوا الدين الموازي." محاضرات على قناة Youtube.com

[8]"Islamic Philosophy, Science and Sufism: Essays in Honor of Dimitri Gutas" edited by A. A. M. Al-Azmeh**

[9]"Islamic Law and the Challenges of Modernity" by Wael B. Hallaq**

[10]"Islam and the Jews: A History of Their Encounters" by David J. Wasserstein**

[11]"The Jewish Sources of Islam" by David J. Wasserstein**

[12]"The Talmud in Islamic Culture" by Hava Lazarus-Yafeh**

[13]"The Influence of Jewish Thought on Early Islam" by Michael Cook**

[14]"The Jewish Influence on Islamic Thought" by A. A. M. Al-Azmeh**

[15]"The Zionist Bible: Biblical Precedent to the Land of Israel" by David M. Hurst**
[16]"Christian Zionism: Road-map to Armageddon?" by Stephen Sizer**
[17]"The Bible and Zionism: Inverted Ethics" by Nur Masalha**
[18]"The Politics of Jesus: Rediscovering the True Revolutionary Nature of Jesus' Teachings" by Obery M. Hendricks Jr.**
[19]"The New Christian Zionism: Fresh Perspectives on Israel and the Land" edited by Gerald R. McDermott**
[20]"Zionism and the Quest for Justice in the Holy Land" by John Quigley**
[21]"The Myth of Christian Zionism: A Critical Examination" by Gary Burge**
[٢٢]جدول ألف لام العربية:
archive.org/details/alef-laam-arabic-letters-numerics

تحريف الكلمات المحورية
في القــرآن
وظهور إسلام بديل زائف

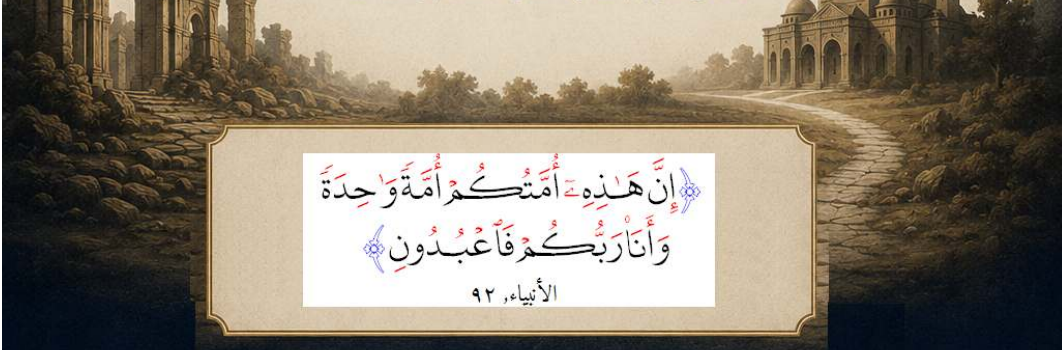
كتاب جريء يتحدّى الموروث العقائدي الذي بُنِي على تحريف الكلم عن مواضعه.

لا يبحث عن متّهم تاريخيّ، ولا يتّبع خطّاً خارجياً،
بل يكشف البوّابة التيّ يّمرّ منها كلّ تحريف:

الِاستجابة الحرَّة للإنسان.

- من الشكّ الخفيّ في وحدَة — اللّه واليوم الآخر —
- إلى طيِّ الصدور،
- إلى تلقي للوسوسة والإستجابة لها،
- إلى تضاعف الرجسَ،
- إلى هجر الكلمة الطاهرةِ وظهور دِينٍ بدِيل.

المنهج متسلسل، مبنيَّ على كلماتَ الذكر الحكيم نفسه،
وعلى آياتَه المحكمات،
لا على الروايات ولا على التفاسير اللاحقة.



﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾
الأنبياء، ٩٢